والواقع ان الفضل في إنشاء اول أسطول عربي إسلامي يعود الى الخليفة عثمان بن عفان (رض) الذي إذن لمعاوية في غزو الروم بحراً على ان لا يحمل احداً على ركوب البحر ، بل يجعل الأمر اختيارياً، وقد نجح معاوية في تحقيق أهدافه وسعيه لبناء أسطول بحري يضاهي به أساطيل الروم، فقد أقبل العرب المسلمون على ركوب البحر وقد تفوقوا على الروم وغيرهم، وكثر عدد السفن التي كان لها أثرها في اتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية واخضاع العديد من جزر البحر المتوسط وكان لكل سفينة حربية قائد او مقدم له القيادة فيما ما يختص بسفينته في البحر وعليه تقع مسؤولية تدريب الجند وإعدادهم للقتال، وكان قائد الأسطول يدعى بأمير البحر((١)).

وتشير المصادر الأوروبية الى ان الاصلاحات البحرية العربية المستخدمة في اوروبا لا تزال تحتفظ بعربيتها وقد شاع على ألسنة البحارة في جنوب أوروبا((٢)).

الواقع ان معاوية بن ابي سفيان أبدى اهتماماً كبيراً بالبحرية العربية منذ ان تولى الخلافة سنة (٤١هـ) فحرص على تدعيم الدفاع عن السواحل العربية ضد الغارات التي كانت تشنها الأساطيل البيزنطية، فأولى اهتماماً بتقوية وسائل الدفاع والحراسة الساحلية كالمحارس والمناور او المنائر او المواقيد الممتدة على سواحل مصر والشام، فكان على المرابطين في هذه المواقع إذا ما اكتشفوا عدواً في البحر مقبلاً من بعيد أشعلوا النار على قمم المناور او المواقيد إذا كان الوقت ليلاً او أثاروا فيها الدخان إن كان الوقت نهاراً بالإضافة الى استخدامهم الطبول والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة من غارة العدو ، وكذلك قام معاوية بنقل أهالي البلاد الداخلية الى هذه الجهات الساحلية ومنحهم الاقطاعات الواسعة بقصد تشجيعهم على ركوب البحر من جهة وتعمير البلاد وزيادة عدد سكانها من جهة اخرى، فقد روي البلاذري ان معاوية نقل قوماً من أهل بلعبك وحمص الى سواحل الأردن وصور وعكا، كما نقل أقواماً من أهل البصرة والكوفة الى أنطاكيا في شمال الشام((٣)).

الحياة الفكرية في العصر الأموي

١-العلوم الدينية:

تعد العلوم الدينية في مقدمة العلوم التي نالت اهتمام العرب المسلمين وعنايتهم خلال العصور المختلفة، حيث تأسست المدارس الدينية في أقاليم الدولة العربية الاسلامية ببعض الجهود التي

---

(١) حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، ص ٢٤٠.

(٢) Vonkramer, Orient under the caliphs, p. 356.

((٣))العبادي وآخرون، الحضارة الاسلامية، ص٢١٢.

بذلها الصحابة الذين شاركوا في حركة الفتح الاسلامي وتفرقوا في الأمصار وكان أساس تلك المدارس القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الفقه، فكان بداية التأليف العلمي عند العرب وثيقة الصلة بهذه المصادر، وكانت المدينة والبصرة الكوفة والفسطاط ودمشق من أقدم وأهم مراكز الحركة العلمية، ويعد علم القراءات أساس علوم التفسير ويتناول أساليب قراءة القرآن نتيجة لانعدام التشكيل والنقاط، ومن أشهر العلماء في هذا الميدان: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني[(١)] في المدينة، وعبد الله بن كثير مولى عمرو بن علقمة الكناني (ت: ١٢٠هـ) في مكة[(٢)]، وعاصم بن ابي النجود (ت: ١٢٨هـ) في الكوفة، وعبد الله بن عامر اليحصبي (ت: ١١٨هـ) في دمشق[(٣)].

ثم يأتي تفسير القرآن، الذي نشأ في عصر النبي (ص) ثم تولى صحابته هذه المهمة من بعده، باعتبارهم الواقفين على أسراره المهتدين بهدي الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم، ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس، وعن الصحابة أخذ التابعون وعن التابعين أخذ تابعوا التابعين فجمعوا أقوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير[(٤)].

والى جانب علم القراءات والتفسير يأتي علم الحديث ويراد به ما يروى عن الرسول (ص) من قول او فعل، وقد أخذ الناس الحديث من آل بيت الرسول الكريم (ص) والصحابة، ثم ظهرت طبقة التابعين الذين أخذوا الحديث عن الصحابة، غير ان الحديث لم يتم تدوينه إلا أواخر القرن الأول الهجري في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)، وكانت الأحاديث تحفظ في صدور الرجال او تكتب في صحائف متفرقة وخشية انتشار الاحاديث التي انتحلت لتلبية حاجة البدع والنزهات فقد حرص الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز على تدوين الأحاديث الصحاح، وأمر بعض من كان يثق بهم من علماء الحديث بجمعها، فكتبت في دفاتر وارسلت نسخة منها الى أقاليم الدولة العربية الاسلامية[(٥)]، ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بالبصرة (ت: ١٦١هـ)، وهو صاحب كتاب الجامع الكبير، وأبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة (ت: ١٥٩هـ) صاحب كتاب السُنن، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت: ١٥٠هـ)، ومغيرة بن مقسم الظبي (ت: ١٣٦هـ) صاحب كتاب الفرائض. وزائدة بن قتابة الثقفي (ت: ٦١هـ) ومن مؤلفاته كتاب السُنن وكتاب القراءات وكتاب التفسير، ومكحول الشامي

((١)) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨.

((٢)) المصدر نفسه، ص٢٨.

((٣)) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دمشق، ص٣٣١.

((٤)) المصدر نفسه، ص٣٣٢-٣٣٣.

((٥)) سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٧٥.

(ت:١١٦هـ) صاحب كتاب السُنن في الفقه وكتاب المسائل في الفقه، ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت: ١٥٩هـ)، وله من الكتب كتاب السُنن في الفقه وكتاب مسائل في الفقه[١].

٢- علم اللغة:

من الجدير بالذكر ان الإمام علي عليه السلام كان صاحب السبق في استخدام او وضع النقاط على الحروف، وهو الذي أشار على أبو الأسود الدؤلي بوضع النقاط على الحروف.

اضطر العرب بعد اختلاطهم بالروم والفرس وغيرهم من الشعوب التي دخلت الاسلام الى وضع قواعد اللغة العربية للمحافظة على العربية من اللحن والخطا، فظهرت مدرسة النحويين في البصرة ويرأسها أبو الأسود الدؤلي الذي قيل انه سمع قارئ يقرأ: إن الله بريءٌ من المشركين ورسوله بالكسر، فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل الى هذا[٢] فاتصل بزياد بن ابيه وطلب منه ان يعين له كاتباً يفعل ما يقول له، فأتى بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه، فأتاه بآخر لعله المبرد، فقال له أبو الأسود: "إذا رأيتني د فتحت فمي بالحرف فنقّط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممتُ فمي فنقّط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف[٣]"، وقد أخذ عدد من النُحاة عن أبي الأسود منهم يحيى بن يعمر، وعنبسة بن معدان، وميمون الأقرن وعيسى بن عمر الثقفي الذي كان من مشاهير رجال النحو بالبصرة وعنه أخذ الخليل بن أحمد، وأصدر كتاب المكمل، وممن أخذ عن الدؤلي يونس بن حبيب (ت:١٨٣هـ) ومما تجدر الاشارة اليه ظهور ألفاظ ومصطلحات جديدة لم يكن للعرب سابق عهد بها استحدثته الشريعة الاسلامية والنظم السياسية والادارية التي شهدتها الدولة العربية، وقد ازدادت هذه المصطلحات بما نقله المسلمون عن الشعوب الاخرى في مختلف ميادين العلوم كالطب والرياضيات والفلسفة والكيمياء، وأدى ذلك الى البحث في مفردات اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقاتها، فظهرت المعاجم العربية. حيث يعد الخليل بن أحمد الأزدي (ت: ١٧٠هـ) أول من وفق في جمع أول معجم في اللغة العربية وهو أول من استخرج العروض وحصن به أشعار العرب، وصنف الخليل كتابه المشهور المسمى العين، كما صنف كتباً أخر منها كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب فائت العين وكتاب الإيقاع[٤].

((١)) ابن النديم، الفهرست، ص٢٢٥-٢٢٧.

((٢)) ابن النديم، الفهرست، ص٤٠.

((٣))ابن النديم، الفهرست ، ص٤٠.

((٤))ابن النديم، الفهرست ، ص٤٣.

٣-الشعر:

كان الخليل بن أحمد قد وضع قاموساً للغة وأنشأ علم العروض لوزن الشعر فتطور الشعر في العصر الأموي واتخذ اتجاهات جديدة لم تكن معروفة عن العرب قبل الاسلام، فظهر شعر الغزل، ومن أشهر شعراء هذا اللون عمر بن أبي ربيعة في الحجاز، وجميل عذره، كما ظهر الشعر السياسي الذي غدا وسيلة للدعاية فوجد شعراء أبلوا بلاءً حسناً منهم: عبيد الله بن قيس الرقيات، والكميت بن زيد الأسدي[(١)]. كما كان هناك شعراء موالين للخلافة الأموية مثل الفرزدق شاعر عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان ويزيد، وجرير شاعر الحجاج بن يوسف الثقفي والأخطل شاعر معاوية وخلفائه، وقد سجل هؤلاء الشعراء المفاخرات القبلية[(٢)].

٤-علم الكلام:

شهد العصر الأموي عدداً من الحركات الفلسفية الدينية كالجبرية التي تذهب الى القول بأن إرداة الله تعالى مطلقة وقدرته تضع حداً لإرادة الانسان والانسان مجبر لا اختيار له ولا قدرة. وان الله سبحانه يخلق في الانسان الاعمال والافعال ولا قدرة للانسان على تغييرها، واول من قال بالجبرية: جهم بن صفوان الذي سمي أتباعه بالجهمية، وقد نفت الجبرية صفات الله تعالى لأن صفات الله بشرية والبشر خلق، والى جانب الجبرية كان هناك فرقة القدرية والمعتزلة، وقد جاءت القدرية كرد فعل لحركة الجبرية، ومذهبهم هو ان الانسان يملك القدرة والارادة عن تصرفاته، ودعّمت القدرية آراها بآيات من القرآن الكريم، وكانت القدرية تعارض بني أمية لأنها تعتبر ان للإنسان حرية الاختيار، أما المعتزلة فهي أعظم مدارس الفكر والكلام في الاسلام، وظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة، ويرجع أصل هذه التسمية الى واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقة استاذه الحسن البصري بمسجد البصرة لاختلافه معه في الرأي[(٣)].

تتلخص آراء المعتزلة في القول بعدم تكفير مرتكب الكبائر واعتباره في منزلة بين المنزلتين، أي بين المؤمن والكافر[(٤)]، وقالوا بالقدرة اي ان الله تعالى لا يخلق افعال الناس وإنما يخلقون افعالهم، وانهم من أجل ذلك يثابون او يعاقبون على عكس ما قال به خصومهم من الفقهاء الذين تغالوا في سلب الانسان قدرته وحريته في التصرف، كما ذهب المعتزلة الى القول بسلطان العقل وقدرته على معرفة القبيح من الحسن، وقالوا بالتوحيد فنفوا ان تكون لله تعالى صفات أزلية من علم

((١)) مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة، القاهرة، ١٩٦٨، ص٨٥.

((٢)) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٣١؛ سالم، تاريخ الدولة العربية، ص٧٠١.

((٣)) المسعودي، مروج الذهب، ص٢٢٢.

((٤)) سالم، الدولة العربية الاسلامية، ص٧٠٠.

وقدرة وحياة وسمع وبصر غير ذاته، بل ان الله عالم وقادر، وحي وسميع وبصير بذاته، وقد استند المعتزلة في آرائهم هذه على قوله عز وجل: {وليس كمثله شيء} وقوله تعالى: {سبحان رب العزة عما يصفون}، وقد اضطهد خلفاء بني أمية المعتزلة، ولكن بعض الخلفاء ذهبوا مذهبهم مثل يزيد بن الوليد، ومروان بن محمد الذي لُقب بالجعدي لأخذه القول بالقدر عن الجعد بن درهم المعتزلي[(١)].

٥- علم التاريخ:

كانت المدينة مركز الدراسات التاريخية التي قامت على دراسة سيرة الرسول (ص) وأخبار الغزوات والهجرة الاولى الى الحبشة ثم الى يثرب، وقد اعتمد المؤرخون الأوائل على الروايات الشفوية، فكان كل جيل يستمد أخباره من الجيل السابق، وكان الخبر التاريخي يستمد من السماع عن الحُفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالأسانيد التي اتبعها المحدثون في روايتهم للحديث فكان الخبر التاريخي يتألف من عنصرين رواة الخبر على التتابع وهو ما يعرف بالسند او الإسناد، ثم نص الخبر ويسمى المتن[(٢)]. واقدم المؤلفات التاريخية التي جمعت بين الحديث والتاريخ كتب المغازي والسيرة، وقدر ازدهر هذا النوع من التأليف في المدينة باعتبارها دار الرسول (ص) ودار السُنة التي عاش فيها الصحابة وسمعوا الحديث ورووه الى التابعين، وتوزع مؤرخوا السيرة والمغازي في مدرسة المدينة ومكة على ثلاث فئات: فبرز في الأولى ابان بن عثمان بن عفان (ت: ١٠٥هـ) وعروة بن الزبير (ت:٩٢هـ). ومن رجال الفئة الثانية عبد الله بن أبي بشر بن حزم الانصاري (ت: ١٣٥هـ) وعاصم بن عمرو بن قتادة الانصاري (ت: ١٢٠هـ) الذي عهد اليه الخليفة عمر بن عبد العزيز الجلوس في جامع دمشق ليحدث الناس عن مغازي الرسول (ص) ومناقب الصحابة، وعليه اعتمد ابن اسحاق والواقدي[(٣)]، كذلك يأتي ابن اشهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ) ضمن هذه الفئة ويعد من أعظم مؤرخي المغازي والسير ويرجع الفضل اليه في تأسيس المدرسة التاريخية في المدينة[(٤)]. أما الفئة الثالثة فمن رجالها محمد بن اسحاق (ت: ١٥٢هـ) اشهر تلاميذه الزهري وتنسب اليه اقدم كتب السيرة التي وصلتنا، محمد بن عمر الواقدي مولى بني هاشم (ت: ٢٠٧هـ) الذي فاق ابن اسحاق دقته في المادة وفي الأسلوب مع زيادة في العناية بالتاريخ وتحقيق تواريخ الاحداث وتوضيح الإطار الجغرافي المتصل بالواقع[(٥)].

((١)) سالم، الدولة العربية الاسلامية، ص٧٠٠.

((٢)) احمد امين، ضحى الاسلام، ج٢، ص٣١٩؛ الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، ١٩٦٠، ص٢٠.

((٣))احمد امين، ضحى الاسلام ، ج٢، ص٣١٩.

((٤)) الدوري، نشأة علم التاريخ ، ص١٠١.

((٥)) الدوري،نشأة علم التاريخ ، ص٣٠-٣١؛ سالم، الدولة العربية الاسلامية، ص٦٩٦-٦٩٧.

بن الحكم، فقد ذكر الكندي ان خالد هذا رافق مروان في حملته سنة (٦٥هـ)[(١)]، أما في مجال الطب فقد اشتهر عدد من النصارى خلال العصر الأموي منهم الطبيب المعروف بابن أثال وكان طبيباً لمعاوية بن ابي سفيان وعُرف بسعة معرفته بالأدوية المنفردة والمركبة، ثم طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي تيادوق، وماسر جويه اليهودي الفارسي طبيب مروان بن الحكم الذي ينسب اليه ترجمة كتاب في الطب باللغة السريانية الى العربية وهو كتاب أهرن بن أعلين القسي[(٢)]، ثم ابو الحجاج النصراني، طبيب معاوية بن ابي سفيان، ثم ابن أبجر السكندري طبيب عمر بن عبد العزيز[(٣)].

المظاهر العمرانية

أولاً: العمائر الدينية:

أولى الامويون اهتماماً كبيراً بالمساجد الأولى التي أسست خلال عصر الخلفاء الراشدين، ومن المساجد التي تم تجديد بناءها تجديداً شاملاً جامع الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) الذي استعان ببعض الصُناع من أهل مصر والشام (من الروم والأقباط)، وجعل الأساس بالحجارة وكذلك الجدران. أما الأعمدة، فقد حُشيت الحجارة بعمد الحديد والرصاص مدت فوقها الأسقف الخشبية مباشرة[(٤)].

ثم جامع البصرة الذي تم إنشاءه بالطين واللبن في خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة (٤٤هـ) أُعيد بناؤه من الآجر والجص وتم تسقيفه بخشب الساج، واتخذت له عمد من الحجر وتم ذلك على يدي زياد بن أبيه الذي ذكر انه بنى منارة الجامع بالحجارة وأقام المقصورة[(٥)]، كذلك تناولت حركة التجديد هذه جامع الكوفة الذي بُني سنة (١٧هـ) حيث تم تجديد بناؤه سنة (٥١هـ) على يد زياد بن أبيه ايضاً، الذي زاد في مساحته[(٦)]، وحين تولى الوليد الخلافة أمر عامله على صنعاء بتجديد جامعها ويزيد في مساحته ويحكم بناءه، فبناه أيوب بن يحيى وزاد فيه من جهة القبلة الأولى[(٧)].

---

(١) الكندي، ولاة مصر، ص٦٥.

(٢) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، ١٩٦٥، ص١٧١ - ١٧٤.

(٣)ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص١١١؛ ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص٢٤.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٦؛ السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج١، ص٣٦٨.

((٥))البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٦؛ السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج٢، ص٤٢٦.

((٦)) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣٠؛ أحمد فكري، المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة، ١٩٦١، ص٢٠١.

((٧)) محمد بن احمد الحجري، مساجد صنعاء، ص٢٤، صنعاء، ١٣٦١هـ، القاهرة، ١٩٦١، ص٢٠١.